مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

مُرتكزاتُ العَقيدةِ الإسلاميّة لِلحِفاظِ على الهُوِيّة الإسلاميّة.

الدكتور. فتح الرحمن يوسف عمر أبوعاقلة

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية بالمجمعة– جامعة المجمعة. وكلية التربية حنتوب بجامعة الجزيرة، السودان.

ملخص البحث:

يتناول البحث بيان قدرة العقيدة الإسلامية على الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر خصائصها الفريدة، وهي: الرَّبانيّة والتوحيد والوضوح والثبات والشمول وموافقتها للفطرة والعقل، ويهدفُ البحثُ إلى تأكيد أهمية الاعتماد والاعتداد بالعقيدة الإسلامية لتشكيل هُوّية المسلم، والدعوةِ إلى الرجوع إليها في تربية الأجيال، ويسلكُ الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، وخَلُصَ البحث إلى عِظَمِ قدرة وأهليّة العقيدة الإسلامية في حياة المسلم للحفاظ على هُويّته الأصيلة، فهي مصدر للتلقي والاستدلال المعتبر ومرتكز فريد للثبات على الحق، ومنْ ثَمّ الاعتزاز بهُويّةِ المسلم، وعدم الرُّكون إلى التيارات والمذاهب والفرق والفلسفات والأديان التي يجتهد سدنتها في إضلال وتغييب المسلمين، ويُوصِي البحث بقيامِ مؤسسات تعمل على إجراءِ البحوث والدراسات العلمية الدقيقة لكشف مؤامرات المنظمات التي تسعى إلى محو شخصية المسلم، ومحاولة تذويبه في الآخر، ومواجهتها ونقدِها لتحقيق الحصانة اللازمة للحفاظ على كيان الأمة الإسلامية سليماً من التشويه والتغيير.

الكلمات المفتاحية: المرتكزات – الهُوِيّة — العقيدة – الرَّبانيّة– التوحيد.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

مُرتكزاتُ العَقيدةِ الإسلاميّة لِلحِفاظِ على الهُوِيّة الإسلاميّة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

إنّ أعظمَ ما اتسمت به الحياة المعاصرة التسارع غير المسبوق في ابتكار وابتداع الوسائل والمناهج لأجل الاحتواء و الاستيلاء على الآخر، لضمان التبعية التامّة والخنوع والاستسلام، فكلُ من له دينٌ أو عقيدةٌ أو مذهبٌ أو فلسفةٌ أو تيّار يسعى لإقناع الآخرين بصحة مبادئه وأنها تحمل السعادة الحقة، ورغم قوة الوسائل والمغريات والمظاهر عندها؛ إلّا أنّها تحمل عواملَ فنائِها في داخلها، ويبدو زيفُها وانحرافُها وعجزُها عن تلبية حاجة الإنسان الفطرية في الحياة الآمنة المستقرة، وواقع تلك الشعوب يؤكد شقاءها وتعاستها، عدا الإسلام الحنيف الذي له من القوة الذاتية ما يلبي الحاجات الفطرية والعقلية والروحية للإنسان، واحصاءات نِسَب الدخول في الإسلام تؤكد ذلك، ولا يكاد يجتمع الآخرون إلّا على عداوة وحرب وتشويه الإسلام وإفساد أهله، بمختلف الوسائل والمؤثرات، وأسسوا لهذا الغرض المنظمات والمؤسسات والإمكانات المادية العظيمة، ولن يَصلُحَ حال الأمّة الإسلامية إلّا بما صَلُحَ به أوّلُها، بالرجوع الصادق والأكيد والمباشر لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، واتباع منهج سليم في الحياة قائمٌ على الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام وعقيدته، التي تفردت بخصائص ما لها من مثيل في المذاهب والأديان والفرق والفلسفات كلها.

مشكلة الدراسة:

في عصر عُرِف بعصر صراع الهُويّات، وسرعة التواصل وقوة النفاذ إلى داخل العقول والقلوب ودون استئذان، عبر وسائل التقنية الحديثة ذات الامكانيات الهائلة، هل للعقيدة الإسلامية حقيقةً خصائص تُميزُها عن غيرها؟ وماذا يعني وجودها للمسلم لبناء هُوّيَتِهِ الصحيحة؟ وهل تفردت بذلك دون غيرها من الأديان والمذاهب والفرق والفلسفات؟ وكيف تتمكن هذه الخصائص من أن تحفظ للمسلم ذاتيته؟ وهل تَصْلُح مرتكزاً عقدياً ومنطلقاً لحفظ هُوّيتهِ المتفردة؟

حدود البحث:

الحدود الموضوعية لهذا البحث، تتمثل في خصائص العقيدة الإسلامية الرئيسة كمرتكزٍ قادرٍ على حفظ هُوّيةِ المسلم، وعجز الأديان والمذاهب والفرق والفلسفات عن حفظ هُوّيةِ أصحابها، ويركز البحث على الخصائص الرئيسة السبعة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

المذكورة كمرتكزات أو ثوابت، دون التي تتفرع عنها أو تنضوي تحتها نحو: التكامل والإيجابية والتسامح والواقعية، والوسطية، والاعتدال؛ وباستقراء مصادر الإسلام وكثير من الدراسات التي تناولت العقيدة الإسلاميّة بالبحث والتقصي والدراسة تبين أنّه يمتلك هذه الخصائص الفريدة، وهي كثيرة لا تجتمع في هذه السبعة إلّا أنها جميعاً تكاد تعود إلى هذه السبعة الرئيسة، فهي إمّا ناتجة عن كون العقيدة ربانية أو كونها شاملة.

أهمية البحث:

يؤكد أهمية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم، وتفرُدها بخصائص كالتوحيد والرَّبانيّة وموافقة الفطرة والعقل والوضوح والثبات والشمول وغيرها. وإمكانها في الحفاظ على هُوِيةِ المسلم.

تحقيق الحصانة ضد حالة الاستسلام والتبعيّة والذوبان في النموذج الآخر، ومقاومة روح التمرّد على الثوابت الإيمانية، أو السعي لطمس الهُويّة الإسلامية.

اتسم العصر بما يعرف بالانفجار المعرفي، زيادة على يُسر التواصل بين أطراف العالم، فأصبح النشء المسلم تحت تأثير عظيم للأفكار والتيارات والمذاهب والأديان والفلسفات المنحرفة التي تعمل ليلاً ونهاراً لإخراجهم من العقيدة الإسلاميّة، والسيطرة عليهم حتى لا يكاد ولِيّهُم يتعرف على ميولهم وهمومهم وما يدور في عقولهم، وهنا يأتي التعويل على أهمية التربية العقديّة لحفظ هُوِيتهم الإسلاميّة.

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة بينت قدرة العقيدة الإسلامية على الحفاظ على الهُوّية الإسلامية، عبر خصائصها الفريدة، كمرتكز قويّ تُبنى عليه هُويّة التوحيد إلّا أنّ هناك دراسات ذات صلة ببعض أجزاء البحث منها:

الأولى: كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة (مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها) للدكتور مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، حيث تناول الكتاب بالشرح والبيان في الفصل الثاني خصائص العقيدة الإسلامية– عقيدة أهل السنة والجماعة– حتى عدها ثلاثين خاصيّة، وهذا ما اتفق فيه البحث والكتاب إلّا أن البحث اعتمد سبعاً منها لتمثل المرتكزات في حفظ هُويّة المؤمن من الضياع، مع بيان أنّها في الأصل خصائص للعقيدة الإسلاميّة، والإشارة إلى أنها لا تُحصر في هذه السبعة وأنّ البقية فرع منها، ولم يتطرق الكتاب للحديث عن موضوع البحث وهو دور هذه الخصائص في الحفاظ على هُويّة المؤمن، وإنْ حوى بعض

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الاشارات خلال شرحه لها.

الثانية: كتاب الهُويّة الإسلامية لإسماعيل المقدم: بيّن فيه الآتي: مفهوم الهوية، وأثرها على سلوك الفرد والمجتمع، وأهم أركانها والتي تشمل العقيدة ثم التاريخ ثم اللغة، ثم تحدث عن خصائص الهُويّة الإسلامية، وعلاقتها بالوطنية، مظاهر أزمتها، الصراع بينها وبين العولمة، ثم أعدائها في الداخل والخارج، وتكلم عن أساليب لطمس الهُويّة الإسلامية من بينها إضعاف العقيدة، وزعزعة الإيمان، ولم يتطرق الكتاب إلى وسائل الحفاظ على الهُويّة الإسلامية إلا وفي جزئية عنوانها: السبيل إلى استرداد هُويتنا، وحصر السبيل في ثلاث نقاط لم يكن من بينها الاعتماد على العقيدة الإسلامية وخصائصها وهي: "إحياء حركة تجديد الدين بالمفهوم السلفي الواضح، الدعوة إلى حتمية الحل الإسلامي لمعضلات واقعنا الأليم، ثمّ التصدي لمحاولات تذويب الهوية الإسلامية.

الثالثة: كتاب الهُويّة الإسلامية وقضاياها في الفكر المعاصر لحسيب القايد: ويعرض الكتاب في فصوله الثلاثة للقضايا التالية: قضية مفهوم الهوية، وقضية المكونات، ثم قضية التواصل، ويُؤكد حقيقة ارتباط الهُويّة ببعض وقائع التاريخ المهمة التي شهدها القرن الماضي، وأشار إلى أهمية أن تكون الهُويّة الإسلامية أدواراً قوية في الساحة الفكرية العالمية لما تمتاز به من الأفكار المعتدلة التي يُمكنها تصحيح مفاهيم الغرب عن الإسلام الذي تحاول بعض القوى ترويجه.، ولم يتناول وسائل أو آليات الحفاظ على الهُويّة الإسلاميّة.

منهج البحث:

المنهج المتّبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي بجمع الآيات والأحاديث ومعضِدات ومؤكِدات احتواء العقيدة الإسلامية على هذه الركائز، وصولاً إلى تقوية الفكرة ذات الصلة بموضوع البحث، والمنهج التحليلي بإعمال الذهن في المصادر والمراجع واقتباس ما يؤيد البحث ومن ثم استخلاص النتائج المترتبة على هذا الاقتباس، والنظر في الاقتباسات وتفسيرها وتحليلها لتدعيم المبحث المعين بالتعليق المناسب، ثمّ المنهج النقدي في عرض مواقف المذاهب والفلسفات والفرق والأديان من هذه الخصائص الركائز، وبيان خُلوّها وعجزها عن حفظ ذاتية وخصوصية أتباعها، وما يترتب على ذلك.

إجراءات البحث:

جمع الشواهد من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم والمفكرين لبيان المقصود بهذه الخصائص، وحقيقة وجودها في

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

العقيدة الإسلامية، وتأكيد كونها مرتكزاً أصيلاً في العقيدة الإسلامية لأجل الحفاظ على هُوّية المسلم، مع شرح آلية ذلك للحفاظ على الهُوِّية نقيّة، بالمقابل ماذا يعني غياب هذه الخصائص لأصحاب الأديان و المذاهب الفكرية و الفلسفية أو الفرق، وما يترتب على غيابها، مع ذكر نماذج لها.

يعتمد الباحث الطرق المعروفة في البحث العلمي من تخريج للآيات والأحاديث وتوثيق النصوص المنقولة والتعريف بالمصطلحات والأعلام غير المشهورة ونحو ذلك.

كما اقتضت طبيعة موضوعات البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وسبعة مباحث، وخاتمة وفهرس للمراجع والمصادر على التفصيل الآتي:

المقدمة: وتشتمل على موضوع البحث ثم مشكلته، وحدوده، وأهميته، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث.

المبحث الأول: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الرَّبانيّة.

المبحث الثاني: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز التوحيد.

المبحث الثالث: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الشمول.

المبحث الرابع: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الوضوح.

المبحث الخامس: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الثبات.

المبحث السادس: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز موافقة العقيدة الإسلاميّة للفطرة السليمة.

المبحث السابع: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز موافقة العقيدة الإسلاميّة للعقل الصحيح.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.

فهرس المصادر و المراجع.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

تمهيد:

تُعَدُ أزمة الهُوِيّة الإسلامية من أكثر الأزمات التي تعقدت أسبابها، وأقلها حظاً في التناول والتنقيب، لذا لزم البحث فيها وفق رؤية شاملة متعمقة، لا تغفل واقع الحياة المعاصرة، وجهود تيارات التغيير التي تسعى لطمسها من حياة المؤمن، وقد جُعلت لهذا الهدف مؤسسات تدعم وتمد وتغذي نشاطها بقوة، وتظهرُ خُطورة موضوع الهُوِيّة في كونها جمعت كل أنواع الأنشطة الإنسانية سياسية وعقدية وفكرية وثقافية واجتماعية، كما أنها العامل الرئيس المساهم في التشكيل العقديّ والفكريّ والثقافيّ والسلوكيّ لشخصية المسلم، وهو في بيئات مختلفة الهُوِيّة ، إسلامية نشأ بها أو غير إسلامية، يغزوها الآخر عبر وسائط الاتصال الحديثة، والحذر والخوف من الانصهار والضياع وربما الذوبان، في عصر عُرِف بعصر القرية الواحدة وصراع الهُويّات، وقد أصبحت قضية الهُوِيّة اليوم من الموضوعات الملحة، ومن القضايا الفكرية التي كثُر الحديث حولها، فالكل يسعى إلى الحفاظ على ذاتيته وأصالته وتقاليده انطلاقاً من عقيدته التي يؤمن بها.

وإنّما يُعوّل على العقيدة الإسلامية دون غيرها، لقدرتها على إبقاء الهُوِيّة الإسلامية محفوظة ثابتة، ولما تتصف به من خصائص متفردة كالتوحيد والرَّبانيّة وموافقة الفطرة والعقل والوضوح والثبات والشمول وغيرها مما تفرع عنها، وقد عدها البعض ثلاثين خاصيّة [(١)]، وهي ركائز للحفاظ على الهوية الإسلامية، كذلك ولِما توصف به من التصميم والعزم والصلابة، والملازمة والعكوف والانعقاد على أمر الله، يقول الله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ ﴿٨٩﴾ ﴾ [(٢)] لاحظ كلمة: "عقّدتم" أي صممتم تصميماً لا يتطرق إليه شك أو تراخٍ، وتعقيد الأيمان هو قصد القلب وعزمه وإرادته، فإنّ: "العقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"[(٣)] فهي حكمٌ لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.

وفي الاصطلاح : هي الأمور التي يجب أن يُصدِّق بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك، مع موافقة القول والعمل للتصديق، أي :الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده،

---

(١) انظر الدراسات السابقة في مقدمة البحث.

(٢) سورة المائدة: ٨٩.

(٣) التعريفات، لأبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن علي الحسين الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية ،١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص:١٢٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظنا؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة، وجاء التعويل عليها لأن الإنسان يعقد عليها قلبه، فهي تتخلل كيان المؤمن فلا فكاك منها.(٤)

وهي أيضاً الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وتأتي محورية قضية الهُوِيّة، كونها الهَم الشاغل للأفراد والمجتمعات، فكل كيان تَعوزُه الهُوِيّة المتميزة ليتمكن من العيش محافظاً على ذاتيته ووجوده؛ فالهُوِيّة هي التي تحوي أصالة وجوهر الشخصية، وإلّا يصبح الفرد كائناً تابعاً قابلاً للتحول والضياع والكون مع الآخر؛ ومن المؤكد أن للهُوِيَّة علاقة أساسية بالعقيدة والثوابت الفكرية، فهي التي تشكل السمات الأساسية لكيان الإنسان حتى يتميز عن غيره.

وتستعمل كلمة: "هُوِيَّة" لتعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقة مثيله، وفى الحقيقة فإنها لا تخرج عن هذا المضمون، فالهُوِيّة الإسلامية إنما تعني حقيقة المسلم وجوهره المشتمل على صفاته الأصيلة، التي تميزه عن غيره، كما في التعريفات هي: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النُّواة على الشجرة في الغيب المطلق"(٥).

ولذلك فهي تشمل الامتياز عن الغير، والمطابقة للنفس، أي خصوصية الذات، وما يُميّز الفرد أو المجتمع عن الأغيار من خصائص ومميزات ومن قيم ومقومات. وعليه فإن الهُوِيّة لأمة الإسلام تمثل: القدر الثابت والجوهر الأصيل القائم على توحيد الله تعالى، والذي يجعل لشخصيته طابعاً مميزاً عن الشخصيات الأخرى، وتمنعه وتحصنه من السمات الغريبة المناقضة والمنافية للتوحيد الخالص لله تعالى.

إنّ حقيقة الهُوِيّة الإسلامية هي: الانتماء إلى الله ورسوله وإلى دين الإسلام والعقيدة الإسلاميّة التي أكمل الله لنا بها الدين، وأتم علينا بها النعمة، فهي أهم الثوابت في حياة المسلم وشخصيته، تحكم كل حركاته وسكناته وفكره وسلوكه، وهي أشرف وأعلى وأسمى هُوِيَّة يمكن أن يتصف بها إنسان، فبذلك أصبحت الأمّة الوسط، وخير أمة أخرجت للناس،

---

(٤) انظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مكتبة الغرباء الطبعة العاشرة، ١٤٣٥هـ، ص:٢٦

(٥) التعريفات، الجرجاني، ص: ٢٥٧ مرجع سابق.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

وصَبَغها بخير صبغة، قال تعالى:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[٦] ،وقال جلّ شأنه محذراً من التلاشي والذوبان رغم حرص الآخر على ذلك: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٧] وقال سبحانه: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾[٨] وقال سبحانه: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾[٩] إنّه صراع الهُويّات، لسلب الآخر ذاتيته وأخذ كل شيء تماماً عند سلب هُويّته، والتلاشي في الآخر، حتى يصير مستقبله وإرادته وقوته بيد الغير.

وإنّ الناظر للواقع اليوم ولحوادث التاريخ يرى حقيقة الصراع في الهدم الحضاري للآخر، وخلق القابلية للذوبان أو المحو أو ربما الزوال، وهذه الحقيقة تؤكد أسباب الضعف والتفكك في الأبعاد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية عند جيل اليوم، كما تعكس تراجعاً كبيراً وأكيداً في الاعتماد والانتماء العقائدي للمسلم، وتبدو الخطورة في التأثر حال ارتباط المسلم بمركز آخر للتلقي والتوجيه، فيتشكل الوعي عند التواصل مع مرجعيات مغايرة، قد تتمكن من إخضاعه والسيطرة عليه، أو التأثير فيه، أو إبعاده عن المركز الأصيل والمعتبر، وهو هنا العقيدة الإسلامية، وبالتالي فإن فقد الوعي والتمسك بها يقود إلى التغير أو التلاشي، وقد تفقد سلطتها وتأثيرها على المسلم فيغدو قبوله لمقولات الآخر وسلوكياته وطريقة تفكيره شيئاً مألوفاً، وربما يتنامى ذلك أيضاً للاعتقاد بما يعتقد الآخر والانقياد له تماماً!! وتلك هي الكارثة.

وإنّما يُعَوّلُ على الهُوِيّة الإسلامية لأنّها لازمة لكل مسلم، ما دام ملتزماً إيمانه الصحيح، فليس في مقدوره الخروج

---

(٦) سورة البقرة:١٣٨.

(٧) سورة البقرة:١٢٠.

(٨) سورة النساء:٨٩.

(٩) سورة البقرة:١٠٩

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

والفكاك عنها، كما أنها واجب أكيد لكل إنسان ينشد النجاة، مهما كان تشتُّته وضعفُه العقدي أو الفكري، والّا كان مصيره إلى النار وفي ذلك يقول الرسول الكريم ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ" (١٠). لذا فإن هذه العقيدة هي خط الدفاع الأول والحصانة الوحيدة الأكيدة، ولن تكون بغيرها استقلالية إسلامية، ولا ثبات أبداً.

وخلال استقراء خصائص العقيدة الإسلامية تتبين قدرتها الفذة منفردةً في الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية، لما تمتاز به هذه الخصائص من مقومات قادرة على الحفاظ على جوهر وحقيقة المسلم. لأجل الخروج بمنظورٍ حصينٍ يُعد انطلاقةً مقبولةً للعودة والحفاظ على معنى وانتماء المسلم الأصيل لذاته ولدينه ولحقيقته.

المبحث الأول: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الرَّبانيّة:

تبدو رَّبانيّة العقيدة في تفرد مصدرها وهو وحي الله تعالى، العالِم بما فيه صلاح العبد دون الاعتماد على العقل والنظر، أو على الكشف والذوق والحدس والإلهام والوجد، أو الرؤى والأحلام ، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة، أو علم الكلام والفلسفة، فالوحي من الكتاب والسنة هو الأصل المعتمد في تقرير مسائل الاعتقاد، والتي عليها بناء الذاتية المسلمة.

فإنّ سلامة مصدر التلقي والاستدلال يحقق سلامة الاعتقاد وهو أصل في الحفاظ على هُوِيَّة المؤمن، كما يميزها عن غيرها بأن مصدرها الأساسي هو الوحي الإلهي، المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما أجمع عليه السلف الصالح، المحفوظ بحفظ الله تعالى، فيحفظ المتمسك به من ضياع هُوِيّته.

كما تبدو الرَّبانيّة في تبيين العقيدة للحقائق الكبرى، التي لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا بالوحي، وأول الحقائق تلك التي تعلقت بالإله الخالق، والكون والحياة والمصير. فالله تعالى واحد لا شريك له، لم يلد ولم يولد ولم يكن له شريك، بخلاف العقائد والمذاهب والفلسفات الأخرى التي أنكرت وجود الله تعالى، أو نسبت إليه الولد، أو جعلت صفاته كصفات المخلوقين، أو عطلته عن الصفات، فوقع المشرك في الحيرة، وجعل المشبه الخالق كالمخلوق، وعبد المعطل عدماً، فصاروا جميعاً

(١٠) صحيح مسلم ،كِتَابُ الْإِيمَانَ بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٢٥٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

خواء يسكنه كل ساكن بالقلق والحيرة وعدم الثبات.

وكون العقيدة الإسلامية ربانية فإن ذلك يعني أنها قادرة على تقديم تصورات واضحة عن الكون والحياة والإنسان، وربط هذه التصورات بحركة الحياة، وتحولها إلى منهجٍ للخير والسعادة والجمال، و إنّ ما يعيشه الغرب في زماننا من زيادة في نسب الجريمة و الانتحار والعداوة والبغضاء إنّما مرده إلى الفوضى الفكرية، وفقد الغائية في حياة الإنسان، حتى أصبح كالحيوان يستيقظ على الجنس وينام على الخمر والمخدرات.

كما تعني الرَّبانيّة العصمة والسلامة من التحريف والتغيير والزيادة والنقصان والتعارض، وما دامتْ ربانيةٌ من الله عز وجلَّ فإنها مبرأةٌ من النقص سالمة من العيب، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [١١] وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [١٢] فالعصمة تعصم المسلم من احتواء الآخر له، وتمنعه من الانصهار في التصورات الأخرى.

وتعني الرَّبانيّة كذلك تحرير الإنسان من عبودية غير الله، فإن عبودية الله تعالى هي الهُوية الحقيقية للمؤمن، سالماً من عبودية الإنسان أو الحجر أو الهوى، فالناسُ أمامها سواءٌ لا فضلَ إلا بالتقوَى، فاللهُ خالقُ الناسِ أجمعينَ وكلُّهم عبيدُه، ويكون التنافس وفق التقوى وهي درجة لا يرتقيها إلا من كَمُلت هُويّته: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[١٣] عند ذلك يبلغ المؤمن تمام الحرية، المتحققة في عبادة الله وحده دون شريك، فلا تشرك معه هوى، فتطيعه كما أمر، وتستقيم كما أُمِرت، لأنه المستحق للعبادة وحده، فمن لم يكن له عبداً كان عبداً لغيره، من هوى أو شهوة أو بشر أو حجر، والحرية وفق التصور العقدي تبدأ من دواخل المرء لا يشعر عندها بِذُل ولا حاجة لغير الله تعالى، القادر على حمايته وحفظه وعونه، إنما العزة بالله العزيز، تحفظ

---

(١١) سورة المائدة: ٣.

(١٢) سورة النساء: ٨٢.

(١٣) سورة الحجرات :١٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

للمسلم ذاتيته وكيانه المتفرد، يقول الله عز وجل: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (١٤) بخلاف الذي اتبع عبودية غير الله تجده سلماً للقلق والإدمان والفوضى والأمراض.

وتُحقِق رَّبانيّة العقيدة الهدف من خلق الإنسان، ومصيره، فإن للإنسان غاية وجودية، فإن لم يدرك أن له غاية سامية من خلقه، لم يدرك قيمةً لحياته، فيصبح وجوده وعدمه سواء، إلا أن عقيدة الإسلام تفسر كل شيء وتبعث اليقين في النفوس بذلك، فتعطي للوجود غاية وهدفاً ومصيراً، بعيداً عن الانفصام والتشكيل والصراع النفسي والأفكار الهدامة والسلبية، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (١٥)

وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: " فالقلب لا يَصلح، ولا يُفلح، ولا يَلتذ، ولا يُسر، ولا يَطيب، ولا يَسكن، ولا يَطمئن؛ إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذّ به من المخلوقات؛ لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه"(١٦)

وإنّ المسلم بهذه الخاصيّة، يبلغ هدفه الأسمى بنيل مرضاة الله تعالى، وبالتالي يَجِدُ من ربّه الحفظ والعون والرعاية والمحبة، ويكفيه ذلك للثبات والصمود في وجه عاتيات التيارات والفلسفات الضالة، والآراء والمفاهيم المنحرفة ، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:" إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"(١٧) فمن أي مدخل تُسلبُ

---

(١٤) سورة المنافقون: ٨

(١٥) سورة الذاريات: ٥٦– ٥٨.

(١٦) مجموع الفتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م، دار أضواء السلف (١٩٤/١٠)

(١٧) صحيح البخاري، كتاب الرقاق باب التواضع، حديث رقم:٦١٦٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

هُوِيَّة من أصبح اللهُ حرباً ضد أعدائه، ونال محبة الله وسدد سمعه وبصره ويده ورجله وأيّده بتوفيقه وصانه عن الرذائل فلا يستعمل جوارحه إلا في المباحات، وإذا أحب الله عبدًا يحميه ويحفظه من كل فتنة ومهلكة.

و تتمثل ربانية الغاية والوجهة، في أنّ العقيدة تجعل غاية المسلم الأخيرة وهدفه البعيد هو حسن الصلة بالله تبارك وتعالى، فهي الوقود الدافع والمحرك له، ليبلغ غاية الغايات بالحصول على مرضاة الله تعالى، وهي أصل أسباب السعادة، والاستقرار للمسلم، ومنتهى أمله وسعيه وكدحه في الحياة، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ ﴾ [١٨] .

ولقد خاطب الله تعالى رسوله ﷺ بهذه الحقيقة الجوهرية، والتي هي في حقيقة الأمر هُوِيَّة المسلم، فأمره أن يُعلنها ويُبلغها للناس، فقال:﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾[١٩] فبهذا التوجيه والإرشاد، يتم إعداد المسلم ليكون ذا عقيدةٍ، خالصةٍ لله، لا لأحد سواه، ولهذا كان روح الإسلام وجوهره هو التوحيد، ليحرره من الانسياق وراء الشهوات والغرائز وأنانية النفس، ويعكف على الطاعة والاستسلام لله تعالى، والإذعان له سبحانه دون أي تلكؤ، فتسلم نفس المسلم من التمزق والصراع الداخلي بالاعتصام بالله وحده.

وإنّ عقيدة الإسلام ذات مصدر إلهي دون سواها من العقائد الدينية والأفكار البشرية، إنها الوحيدة التي بقيت محافظة على أصالة مصدرها الرباني، دون أن يختلط فيها الإلهي بالبشري، نتيجة ما حدث من تحريف أصحاب العقائد والأفكار الأخرى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ [٢٠] ولقد كان لهذه السمة دورها في تحقيق معاني الانسجام وعدم التناقض بين مفردات العقيدة الإسلامية لدى المؤمنين بها، حيث إن مصدرها واحد، ومن ثم فليس هناك تناقض أو تضارب، الذي هو سمة الآراء البشرية والمذاهب الوضعية، وذلك فضلاً عن تحقق صيانة عقيدة الأمّة

---

(١٨) سورة الانشقاق:٦.

(١٩) سورة الأنعام: ١٦١-١٦٣.

(٢٠) سورة الحجر: ٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الإسلامية من وقوع الخطأ أو الاضطراب عند إرادة فهمها، فتبني للمسلم ذاتيته المحصنة من الضياع والانصهار في الغير.

وبالجملة فإن الرَّبانيّة تعني حصول كل الخصائص الأخرى، المنبثقة عن ربانية العقيدة الإسلامية، من التوحيد و الوضوح والواقعية والشمول والوسطية وموافقتها للعقل والفطرة والثبات والتسامح، وهي القادرة على حفظ هُوِّية المسلم راسخة وثابتة في بنيانها الرباني الفريد.

المبحث الثاني: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز التوحيد:

التوحيد هو الخاصية الفريدة للعقيدة الإسلامية وهو الفارق الأساسي بينها وبين العقائد الأخرى. فأغلب أديان العالم الحيّة تؤمن بوجود إله واحد؛ وتنطلق منه لتشكيل معتقداتها؛ إلا أنّها جميعاً تتبنى في النهاية الشرك، أما المذاهب الفكرية فليس هناك ذكر للإله، وإنما هي تقوم أصلاً على إقصاء الدين، وتجعل غالب المذاهب الفكرية من المادية والحيوانية والإلحاد والدنيوية أساساً لها ومنطلقاً لبنيتها الفكرية.(٢١)

وتعني هذه الخاصية الرؤية التوحيدية للأشياء، فهي قائمة على تحقيق العبودية لله تعالى في سلالة ويسر، وشمول لجميع أفعال العبد وأقواله، فالله تعالى له الربوبية والألوهية والأسماء الحسنى والصفات العلى، وعلى ذلك تتشكل القيم والأهداف والأعمال، فيضبط التوحيد كل شيء، فهو المرجعية المتكاملة والأصيلة، التي تشكل ذاته، وتصبغه بصبغة التوحيد، فتحفظ كيانه عن الخروج عن هُوِّيته الإسلامية، ثابتاً لا تُؤثر عليه أعاصير العولمة والحداثة والليبرالية وغيرها (٢٢) ومحاولات الاستلاب الثقافي، والانحرافات الفكرية والسلوكية.

وهذا النسق التوحيدي المتكامل يُبقِي المسلم في تواصل دائم بينه وبين الله تعالى، كما يرتب علاقته بنفسه وبمن

---

(٢١) يُنظر كتاب: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص:١٩٦.

(٢٢) العولمة: الاتجاه نحو السيطرة على العالم وجعله في نسق واحد، وجعل الشيء عالمياً، انظر: العالم الإسلامي في ظل العولمة، عبد العزيز عثمان التويجري، دار الشروق، ص:١٥، الحداثة: مذهب فكري يسعى الى نبذ القديم الثابت من العقائد والشرائع والقيم، ورفض السائد والمألوف وكل ما هو معروف، انظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، https://www.dorar.net/mazahib الليبرالية: مذهب سياسي فلسفي يقرر أنّ وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح، وأنّ القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد، المعجم الفلسفي جميل صليبيا، ص:٤٦٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

حوله في يسر وسلاسة وتجانس تام، فهو نسق قائم على المعرفة بالله تعالى، المتصرف في كل شيء، القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء، المالك والخالق لكل شيء، قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ (٢٣) المستحق وحده صرف جميع الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة إليه، بعيداً عمّا يزعزع ثوابته من تقديس الموتى أو عبادة العظماء وإقامة القبور والصور والتماثيل، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ (٢٤) توحيداً نقياً يشحذ الهمّة ويقوي العزيمة ويدفع للخير، كما أنّها رؤية قائمة على التنزيه لله تعالى لا مثيل له ولا شبيه، ولا والد ولا ولد، متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص، يقول سبحانه: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾(٢٥)

فالتوحيد يوجه حركة المسلم وسكونه، فعله وتركه، عقله ووجدانه، تتكامل نظرته للكون والحياة والإنسان، لا تقوم هذه النظرة على المفاهيم المادية الخالصة، ولا على المفاهيم الروحية الخالصة، بل تقوم على التوحيد الخالص، يتكامل فيه العقل والوحي، والروح والمادة، والدنيا والآخرة، والعلم والدين، فهو الأقدر على توجيه البشرية وإرشادها إلى ما يصلحها، والأقدر على كشف زيف الأفكار والخروج من دائرة التبعية والاندماج، والحفاظ على البنية الأصيلة للمسلم.

على الرغم من أنّ الرسالات السماوية دعت إلى التوحيد، وحذرت من الشرك والوثنية إلّا أنّ الديانة النصرانية قد تحكمت فيها المجامع النصرانية ،حيث تحذف وتضيف ما تراه من العقائد، مما أدى إلى قلق واضطراب معتقديها، وعدم اقتناعهم بها، فالتثليث عندهم يعني الوحدانية، والوحدانية تعني عندهم التثليث! فالوحدانية تعني الثالوث المقدس وهو يضم الآب والابن والروح القدس، ورد في قاموس الكتاب المقدس، محاولة شرح هذه العقيدة لإزالة اللبس من الأذهان: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر، الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس، فالآب هو الذي خلق العالمين بواسطة الابن، والابن هو الذي أتم الفداء وقام به، والروح القدس هو الذي يطهر القلب والحياة، غير أنّ الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع

(٢٣) سورة الزمر:٦٢.
(٢٤) سورة الكهف:١١٠.
(٢٥) سورة الشورى: ١١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الأعمال الإلهية على السواء" [٢٦]

وتبدو فكرة التوافق والجمع بين التثليث والوحدانية عصيّة التصور، ونتيجة لذلك خرجوا عليها بل وأقصوا الوحي جملةً وتفصيلاً عن الحياة فكان الضياع، وهُدِمت حصونهم الفكرية، وقيمهم الأساسية، وتزلزلت ثوابت العقيدة عندهم، أما العقيدة الإسلاميّة فلم تُدنَّس بأقوال المتكلمين ولا بتشدق المتمنطقين ولا بما أفرزته عقول فلاسفة اليونان وغيرهم، فهي العقيدة النقية التي تملأ النفوس يقيناً وطمأنينة، تجمع وتقرب أشتات النفس ولا تبعدها وتفرقها، في ثبات عظيم وسبيل رضيَه الله عزّ وجلّ وهدى عباده إليه، وقد انعكست هذه العقيدة بصفائها على معتنقيها فصاروا أثبت الناس على الحق بخلاف أهل الأهواء والإلحاد والأديان الذين تتجارى بهم الأهواء والشهوات والشبهات، وسبب ثبات المسلمين إنما يعود إلى يقينهم بصحة ما هم عليه واقتناعهم به وانقيادهم له في سلاسة ويسر.

أما اليهود الذين يميلون في طبائعهم إلى المادة والمحسوس، لم ينسجموا مع تنزيه الله تعالى، فاتجهوا بدلاً من توحيد الله تعالى إلى التعدد والتجسيم والنفعية، وهو ليس إلهاً معصوماً، بل يخطئ ويثور، ويندم على ما فعل، وهو يأمر بالسرقة، وهو قاسٍ، متعصبٍ، مدمرٍ لشعبه، إنّه إله بني إسرائيل فقط[٢٧]، كما أنّهم نسبوا الابن إلى الله قال تعالى: ﴿خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾[٢٨] وقد ترتب على ذلك فساد اعتقادهم في النبوة والأنبياء واليوم الآخر والملائكة، فكان تصورهم للإله مدمراً لبناء ذواتهم، ومن تصوراتهم للإله قولهم يد الله مغلولة قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

(٢٦) قاموس الكتاب المقدس، عبد الملك، بطرس وآخرون، طباعة شركة Compubraill ص: ٧٨.
(٢٧) اليهودية، أحمد شلبي، الطبعة:٨، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م، ص: ١٧٧.
(٢٨) سورة التوبة: ٣٠.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

(٢٩) وقولهم إنّ الله فقير وهم أغنياء: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ (٣٠) وأن عزيراً ابن الله، وهُمْ أبناء الله وأحباؤه، هذا التصور القاصر عن تخيل صورة بشرية فما بالك بتصور الإله! فإنّه لا يصنع إيماناً، ولا يبني ذاتيةً راسخة مستقلةً، لكنه يمزق صاحبه ويهوي به في مكان سحيق.

وفي الديانة الهندوسيّة يعتمد مفهوم التوحيد على الثالوث؛ كما عند النصارى، وهم هنا: "براهما، وفيشنو، وشيفا"، وعلى الإيمان بآلهة أخرى كثيرة وغير متناهية، وهذا أمر ينقض التوحيد كما عند التثليث النصراني، ورغم كثرة الآلهة عند الهندوس، إلا أنّهم يختزلوها في هذه الآلهة الثلاثة أو واحد ذي ثلاثة أقانيم: الإله براهما: وهو الخالق، حسب معتقدهم، ثم الإله فيشنو: ويسمونه الحافظ ومهمته الحفاظ على العالم، وكثيراً ما يصوّرونه على هيئة إنسان يجسّد الخير والعون للبشر، ويساعده في مهمته آلهة آخرون، ويحتل فيشنو موقعاً متميزاً في الشعائر الهندوسية. وأخيراً: الإله شيفا؛ وهو إله الهلاك والفناء والدمار، وهو المهلك للعالم ومهمته نقيض مهمة فيشنو، ومن المؤكد أنّ هذا الاختلاف والتضارب يمزق النفس الإنسانية، ويجلب لها الصراع الذي ينتج الهموم والحيرة والقلق اللامتناهي، فتتهاوى سريعاً أمام التيارات والمذاهب الأخرى.

أمّا المذاهب الفكرية، فإن الغالب منها قائم على الإلحاد أو المادية، الإلحاد الذي هو محاولة لبناء قاعدة منظومة تتحكم في تفكير الملحد وسلوكه، حتى يبني عليها أفكاره ومختلف أنواع النشاط الإنساني، السلوكي والاجتماعي والاقتصادي، وهي محاولة ليس لها ثبات في نفس الملحد أو تأثير حقيقي، وإنما هو أمر ظاهري مزيف، ولا يحمل الملحد على الاقتناع الحقيقي الراسخ المنعقد عليه قلبه، الذي يقوده وفق استقلالية راسخة، تمتلك الإرادة والقدرة على بناء الحياة والسعي وراء غاية سامية مرموقة، فالملحد تائه ضائع لا ثبات في فكره ولا سلوكه، مستسلماً للتمزق النفسي والروحي، منساقاً خلف شهواته فاقداً للطريق المستقيم والهدف النبيل والغاية من الوجود.

إنّ الاعتقاد بوحدانية الله تعالى – أُلوهيّة وربوبية وأسماءً وصفات– يجعل للحياة غاية وهدف، ولوجود الإنسان مصير ومعنى، وسلامة من الحيرة، وبقدر سلامتها من الانحراف يكون قبولها للتوحيد، وعندها يكون التوافق تاماً بين مسائل

(٢٩) سورة المائدة : ٦٤.

(٣٠) سورة آل عمران : ١٨١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

العقيدة الإسلاميّة وما يجب اعتقاده، مما ينعكس على طمأنينة وأمن النفس وسكينتها، وراحتها وسلامتها من الأمراض والانحرافات، فتحيا في توازن وتناغم وانسجام مع عقيدة التوحيد، وبقدر فسادها يكون رفضها لعقيدة وجود الله تعالى وتوحيده، وإنّ فساد الإلحاد مثالٌ بيّن في كونه "جحود في حقيقته وليس جهلاً ولا شكاً ! فأدلة وجود الله تعالى لا تحتاج إلى بحث أو نظر ولكنهم أهل جحود واستكبار لا يخفى، يُصرون على تلبيس الحق بالباطل، وإدخال القطعيات النقلية بل والضروريات العقلية فيما يجب إخضاعه للشك والنظر العقلي والبحث والمناظرة من أمور الظن والاحتمال"(٣١)

أمّا المادية أو المذهب الماديّ فهو قاصر: "يفسّر كل شيء بالأسباب المادية، ويطلق في علم ما بعد الطبيعة على مذهب الذين يقولون إنّ المادة وحدها هي الجوهر الحقيقي، الذي به تفسر جميع ظواهر الحياة، وجميع أحوال النفس، والمذهب الماديّ بهذا المعنى مقابل للمذهب الروحيّ الذي يثبت وجود جوهر مستقل عن المادة، وهو الروح"(٣٢)، فهي لا تؤمن إلا بالمرئيّ والمحسوس، فهل يمكن رؤية كل الموجودات، حتى تكون الرؤية المادية سبباً للإيمان؟ إنّ النظرة المادية للوجود لا يمكن أن تُكوّن مرجعيةً مقنعةً راسخةً، لنظرتها القاصرة في تعليل وتفسير الكون والحياة والإنسان، بل من الممكن أن تكون المرجعية أمراً خارج عالم الطبيعة والمرئيات، كما في مرجعية الإسلام وهي: "في النظم التوحيدية، هي الإله الواحد المنزه عن الطبيعة والتاريخ، الذي يحركهما ولا يحل فيهما، ووجوده ضمان أن المسافة التي تفصل الإنسان عن الطبيعة لن تُختزل ولن تلغى، فالإنسان خلقه الله، ونفخ فيه من روحه وكرمه، واستأمنه على العالم واستخلفه فيه" (٣٣)

إنّ المذهب الماديّ عاجز عن صياغة رؤية للكون والإنسان، حيث أغفل الجانب الروحيّ أو الثقافيّ أو الغيبيّ، وعلى الرغم من أنّ الكون والإنسان موجودات مادية تخضع لما تخضع له المادة، إلا أن الواقع يشهد بوجود عالم الشهادة وعالم الغيب، وليس بالضرورة أيهما أسبق كان سبباً للآخر، ولكن المهم التكامل بينهما لوصف الكون أو الإنسان وصفاً صحيحاً، فلا طغيان لأحدهما على الآخر وإلا كانت الرؤية ناقصة وبعين واحدة مما يترتب عليها عجز المنهج في تصوراتنا، وبالتالي خلل في تفاعل الإنسان مع الكون وخلل في علاقته بالخالق.

---

(٣١) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين أبو الفداء ابن مسعود، دار الإمام مسلم القاهرة، الطبعة:١، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.ص:١٧

(٣٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان، ١٩٨٢م (٣٠٩/٢)

(٣٣) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص:٣٧، مرجع سابق.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

هل يمكن الفصل بين مادة الإنسان وروحه؟ وما يترتب على ذلك؟ يترتب على ذلك إغفال الحاجات الروحية والنفسية للإنسان، فيختل كيانه عند ذلك، ويترتب عليه إنكار الخالق الفاعل المطلق في هذا الكون، ويصبح التفسير المادي للظواهر الحياتية، والمشكلات البشرية تفسيراً مادياً لا مكانة فيه لوجود الخالق ولا للغيبيات سواء تعلقت بالإنسان أو بغيره.

المبحث الثالث :الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الشمول:

في كلام جامع لأنواع النشاط الإنساني في مسمى العبادة يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾** ﴾[٣٤] وتلك – أي صرف جميع الأعمال لله وحده – هو الغاية من خلق الإنسان، فليس هناك عمل للدنيا وآخر للآخرة، فإنّ عمل الدنيا إنْ كان مما يحبه الله ويرضاه فهو من العبادة التي هي: "اسم جامع لكل مَا يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأَداء الْأَمانة وبرّ الْوالدين وصلة الْأَرحام والوفاء بالعهود والْأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والْمنافقين والاحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والْقِراءة وأمثال ذلك من العبادة" [٣٥] وإنّ ذلك من مثبتات المسلم على هُوّيته؛ فلا يحصل له انفصام في تفكيره وحركته وسكونه، بين الدنيا والآخرة، عندها تصبح تلبية حاجته في الدنيا – والتي هي رغبة ذاتية محضة– هي نفسها ما يثاب عليه في الآخرة، وفي حديث أبي ذر ﷺ، جمع بين قضاء الشهوة وثواب الآخرة، يقول: أنَّ نَاسًا مِن أَصْحَابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالوا للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: يا رَسولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كما نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قالَ: أَوَليسَ قدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ما تَصَّدَّقُونَ؟ إنَّ بكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بالمَعروفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عن مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، أَيَأْتي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكونُ له فِيهَا أَجْرٌ؟ قالَ: أَرَأَيْتُمْ لو وَضَعَهَا في حَرَامٍ أَكانَ عليه فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذلكَ إذَا وَضَعَهَا في الحَلَالِ كانَ له أَجْرٌ"

(٣٤) سورة الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣.

(٣٥) العبودية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المحقق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، سنة النشر: ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م، ص:٤٤

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

(٣٦)

ومن شمول العقيدة، أنّ كل حياة المسلم منذ علم الغاية من خلقه، وحتى موته أو قيام الساعة؛ إنّ الحياة سعيٌ وكد وعمل، في طلب الخير وإعمار الكون، دون توقف: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا" (٣٧) فلا يمنع قرب قيام الساعة من العمل والسعي في الأرض وعمارتها، وهذا مدعاة لقوة الصلة بالله تعالى والتعلق به على الدوام وفي كل الأحوال، مما يحفظ المسلم من الخروج عن عبوديته لله التي هي حقيقته وجوهره، فلا يقع فريسة للانهزام الحضاري، والسقوط في تبعية الآخر، أمّا العقائد والآراء والمذاهب والأديان والفلسفات فلم تر للحياة معنىً غير طلب اللذة أو الرفاهية أو الزهد والتقشف أو التمرد على الله تعالى، أو الحرية بلا ضابط، وأحياناً العبثية واللاهدف، كلٌ يتصور غاية الحياة عنده وفقاً لما يرى، جعل بعضهم الإنسان حيواناً فانحط به إلى الحيوانية والبهيمية وأضل، ومنهم من جعله آلة صماء لا قيمة له إلا حين ينتج أو ينفع مادياً، أو اعتقد فيه الكمال المطلق حتى جعله إلهاً؛ وكلهم في الشقاء والضلال والتيه مشتركون.

ومن صور الشمول في العقيدة الإسلاميّة؛ شمول الخطاب العقدي لكليات الإنسان، للعقل والروح والمادة، فليس هناك طغيان أصل على آخر، وإلّا قلِقَ واضطرب كيان المسلم وخرج عن السويّة فتُطمس هُويته ويصبح فريسة لكل صياد، فالعقيدة رغم أنها تعطي تفسيراً واضحاً كاملاً للقضايا الكبرى، كالألوهية، والنبوة، والكون والحياة فهي تجعل من العقل بعد الوحي الأداة المثلى لإدراك عظمة الله تعالى، والإقرار بعبوديته سبحانه والتفكر في مخلوقاته تقوية للرابطة والصلة به سبحانه، وتضبطه العقيدة الإسلاميّة ليعمل فيما يستطيع، وفق حدود إمكانياته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمُل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك" (٣٨) فالعقيدة لا تلغي العقل في سعيه لطلب الحق وإدراك ما يمكن إدراكه، فإلغاؤه فسادٌ في التصور، كما أنّها لا تجعل منه المعتمدَ الأوّل والأوحد في إدراك

---

(٣٦) صحيح مسلم، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، حديث رقم: ١٠٠٦.

(٣٧) رواه البخاري، في الأدب المفرد، بَابُ اصْطِنَاعِ الْمَالِ، حديث رقم: ٤٧٩، مسند أحمد ابن حنبل مُسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ حديث رقم: ١٢٧٨٥. السلسة الصحيحة، باب البيوع والكسب والزهد، ١٢٢٨، مكتبة المعارف، الرياض،ط١ ١٤٢٥هـ –٢٠٠٤م، ص:٢٢٤

(٣٨) مجموع الفتاوى: (٣٣٩/٣) مرجع سابق

الحقائق والاعتراف بها، وإلا لم يكن للوحي كماله وفائدته[٣٩]، فالمنهج الرباني السليم وسط بين الإنكار والتعويل عليه وحده، يعطي النقل حقه من الاستلال العقلي مع التمسك بالوحي دون تجاوزه في انسجام تام بين العقل الصريح والنقل الصحيح.

أمّا الروح فغذاؤها في توحيد الله تعالى، والتوكل عليه ورجاء رحمته والخوف من عذابه، فمن صحة الروح وسلامتها، سلامة المعتقد عندها، وبسلامة الروح يسلم البدن والعقل، فإن للروح تعلق بهما سلباً وإيجاباً.

فالعقيدة شاملة لكل شأن المسلم وعمله وقوله وعلاقاته، تعامل الإنسان كل متكامل لا تميل إلى جانب دون آخر فلا ميل يخل به ويهديه للضياع والحسرة، و إنما يبقى دوماً ثابتاً على جوهره النقي الأصيل.

ومن أنواع الشمول أنّ تصور العقيدة الإسلاميّة للكون والحياة يشمل عالمي الشهادة والغيب؛ إذ من الممكن أنْ تكون المرجعية لتصوراتها أمراً خارج عالم الطبيعة والمرئيات، لا كالإلحاد مثلاً كمذهب له مرجعية عرجاء تقوم على العقل والمادة والحس، وتعجز عن إقناع أتباعها فيما يعرف بعالم الغيب، بخلاف المرجعيّة: "في النظم التوحيدية، وهي الإله الواحد المنزه عن الطبيعة والتاريخ، الذي يحركهما ولا يحل فيهما، ووجوده ضمان وإنّ المسافة التي تفصل الإنسان عن الطبيعة لنْ تُختزل ولنْ تلغى، فالإنسان خلقه الله، ونفخ فيه من روحه وكرمه، واستأمنه على العالم واستخلفه فيه" [٤٠]

المبحث الرابع : الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الوضوح:

أوّل وضوح في العقيدة الإسلامية، وضوحٌ في معرفة الخالق المعبود، وجوده، وألوهيته وربوبيته وأسماؤه وصفاته، فإن معرفة الله تعالى أصلٌ لكل المعتقدات الصحيحة، ومعرفته سبحانه المقصودة هي معرفة وجود ومعانٍ لا معرفة كُنْهٍ وحقيقةٍ، فهذا غير مطلوب مِنّا لأنه مستحيل، فمعرفة الذات تكون بالوجود، ومعرفة الصفات تكون بالمعاني، أما معرفة الكُنْه والحقيقة فهذا مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، قال تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٤١] ، خلاف أن تكون معرفة الله تعالى أول مطلوب للعابد– إذ بها يدرك معبوده ويحبه ويرجوه ويخافه – فإن معرفته هي

(٣٩) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م الطبعة: الثانية، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية (١/ ٨٨ –٩٠).

(٤٠) الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص:٣٧. مرجع سابق

(٤١) سورة الأنعام :١٠٣.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

أوّل واجب على الإنسان، أمّا وجود الله تعالى فهو بائن بالوحي الصحيح، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٤٢] وبالعقل السوي، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٤٣] وواضح أيضاً بالفطرة السليمة، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾[٤٤]، وأدلة ذلك أكثر من أن تُحصِيها صفحات، فتتساقط في وجهها أوهام الملحدين الدهريين وعبدة الأهواء والأوثان، والمسلم يُقِرُ أنّ الله رب كل شيء ومالكه، وخالقه ورازقه، وأنّه المحيي المميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء له الأمر كله، ولا يتخذ مع الله احداً يعبده، مخلصاً له العبادة، يؤمن بكل صفات الله الثابتة عنه، ويعلم أنه لا يجوز وصف الله – عزّ وجل– إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به الرسول ﷺ ، كاستوائه على العرش ومجيئه ونزوله، وأنه سبحانه له يد ووجه وقدم، على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله، فلا يشبهه شيء، من غير تفكير في كيفيتها من حيث التجسيم أو التشبيه، بلا تأويل ولا تحريف.

عقيدة قائمة على الترابط والوحدة والشمول، تُرجِع كلَّ الأشياء إلى مسببٍ واحدٍ، فليس في عقيدة التوحيد ما في عقائد التثليث أو المثنويّة [٤٥] ونحوها من الغموض والتعقيد والحيرة، ليس فيها ألغاز، ولا فلسفات، ولا غموض، سهلة ميسورة، ليس فيها ما هو عسير بعكس عقائد أهل الأهواء والبدع، ليس فيها ما لا يفهمه إلا الخاصة، وبذات القوة في الوضوح تَرسَخ كل المبادئ والأعمال والأفكار في نفس المؤمن وتضبط سلوكه وتصرفاته وتعاملاته، فتمنعه من الذوبان أو التلاشي في الآخر.

---

(٤٢) سورة الشعراء : ٢٣– ٢٨.

(٤٣) سورة الطور : ٣٥.

(٤٤) سورة الإسراء :٦٧.

(٤٥) المثنويّة: فرقة تقول بإلهين اثنين: إله الخير وإله الشر، ولقد ذهب المجوس إلى أنّ فاعل الخير هو "يزدان" وفاعل الشر هو "أهرمن" انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعد، ص:١٢٧

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

كما يبدو الوضوح في المعرفة التامة لحقوق وواجبات الخالق والعبد، فإنّ من شأن ذلك أنْ يبين ويضبط طبيعة العلاقة، وقد ذكر النبي ﷺ حق الله في عبادته وأنّ حق العبد أنْ يعيش آمناً بلا عذاب، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ ؟ ، قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ ؟ ، قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ "[(٤٦)]. فليست هناك ضبابية وحيرة تَصرِف الإنسان عن الاجتهاد في القيام بواجبه في الحياة، نحو الله تعالى وذلك أهم واجب للمسلم في ليله ونهاره، ونحو نفسه أو من حوله، وتصلح وتَعْمُر الحياة، ويأمن المسلم ويأمل في رحمة الله، الذي لا مُلْزِم له سبحانه ولا موجب عليه سبحانه وتعالى، ولكنه بفضل الله تعالى من باب مقابلة الثواب والخير لكل طاعة.

إلّا أنّ الغموض في حياة أهل الإلحاد أكيد وبيّن، كما في مدونة "ضد الانتحار" [(٤٧)] في غياب الغاية والهدف من الحياة والوجود عند أهل الإلحاد؛ حيث قام الدكتور جوس مانويل، والباحثة أليساندرا فليشمان بدراسة علمية شاملة مستنديَن إلى مراجع الأمم المتحدة الموثقة، وتقول الدراسة: إنّ أكبر نسبة للانتحار كانت في الدول الأكثر إلحاداً وعلى رأسها السويد التي تتمتع بأعلى نسبة للإلحاد، أمّا الدانمارك فكانت ثالث دولة في العالم من حيث نسبة الإلحاد، حيث تصل نسبة الملحدين واللادينيين إلى ٨٠% " [(٤٨)] والدراسة تؤكد أيضاً فقدان الإلحاد لميزة الثبات كما سيأتي في مبحث خاصية الثبات مع الرسم البياني.

جعل الله تعالى العالم غيباً وشهادةً، وله في ذلك حكمة مؤكدة، وعندما أيقن المسلم أنّ العالَم شهادة فذلك يتضمن تكامل وعي المسلم ويقينه أنّ من العالم ما هو غيب كذلك، فكما يؤمن بالشهادة – وهو إيمان يسير لا يتطلب شواهد تغذيه– فهو يؤمن كذلك وبنفس القدر بالغيب، لأنّ اعتقاده في ربه راسخ بوجود حِكَمٍ عظيمة وراء ذلك، وإنّما هو غيب بالنسبة له، ولا يعني ذلك أنّه عدم، فالله تعالى غيب ولكنّ آثاره تدل على وجوده، والروح غيب ولكنها موجودة، وكذلك

---

(٤٦) صحيح البخاري، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم: ٦٩٧٩.

(٤٧) رابط المدونة: تاريخ الزيارة:٥/ ٥/ ١٤٤٢هـ http://antishobhat.blogspot.com/٢٠١٢/٠٩/blog-post_١.html

(٤٨) رابط الدراسة: تاريخ الزيارة:٥/ ٥/ ١٤٤٢هـ
HTTP://WWW.MED.UIO.NO/IASP/FILES/PAPERS/BERTOLOTE.PDF

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الجنّة والنّار والملائكة وغيرها، عندها يكتمل التفسير الشامل للوجود، فلا تتقيد أفعال المسلم بالعالم المادي المشاهد وحده، أو بعالم الغيب وحده، ولكن بهما معاً، وهذا هو الأفق الواسع الفسيح الذي لا مكان فيه للأوهام والخرافة والدجل والشعوذة، لذا بلغت منزلة المؤمن شأواً عظيماً حين اعتقد أنّ الغيب والشَهادة والأمر كله بيد الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [٤٩] وأنّ الإيمان به أصل من أصول الإيمان بالله تعالى، لذا قامت هذه العقيدة على التسليم لله تعالى ورسوله ﷺ، وتلك أعظم صفات المؤمن التي مدحه الله تعالى بها في قوله: ﴿ ٱلْحَقُّ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ هَذِهِ[٥٠]. فيبعث كل ذلك ثباتاً أكيداً يحفظ للمسلم كينونته، فالأمر كله بيده وحده سبحانه، وقد أحسن العبدُ الظنَّ بالله تعالى بعد أنْ أحسن العمل، فيتحرر فكره من الاشتغال بقضايا غيبية ليتفرغ لمهمة الاستخلاف وعمارة الأرض، إنّما الكِهانة والعِرافة والتنجيم ضربٌ من الخروج عن الاتزان وباب للخروج عن دين الله تعالى، ومضارعة له سبحانه فيما هو من مقتضيات ربوبيته، فمن فعله أو صدق فاعله دخل حالة من الانفصام في شخصية المسلم، وخرج من قِيَمِه وسَلّط الآخر عليه، فأضاع دينه وطمس هُوِيَتَه، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ، أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " [٥١]

يُعد توضيح العقيدة الغاية من خلق الإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[٥٢] إجابة لأعظم سؤال حيّر الفلاسفة والعقلاء وكثيراً من الضالين، فهو العامل الرئيس لإزالة الشكوك والإشكالات التي تتردد في الأذهان ويرددها الملحدون، وقد أكرمه بإرسال الرسل لهدايته لخيري الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ

---

(٤٩) سورة هود: ١٢٣.

(٥٠) سورة البقرة: ٣،٢.

(٥١) صحيح مسلم، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، حديث رقم: ٤٢٥٥.

(٥٢) سورة الذاريات :٥٦

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[٥٣] ذلك من شأنه أنْ يجعل للحياة قيمة، يعمل ويحيا لأجلها، وأنْ يجعل بين الإنسان وربه صلة مميزة، وهي سبب لسعادة الدارين، وسبب لحفظ كينونة المسلم، فيقوى ضد تيارات الغزو الفكري والاستلاب الحضاري.

أما خلقُ الله للكون، فهو آية من آياته سبحانه، تتجلى فيه عظمته، يأتمر بأمره، شاهداً على قدرته، يدعو للتفكر فيه للإيمان به سبحانه، ويزيد يقين العبد بالله تعالى، وقد سخره للإنسان، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾ ﴾[٥٤] ومن وضوح العقيدة وضوح فعل الله تعالى– ولا مثيل له – وفعل العبد ومداه، وأنّ كل شيء في الكون هو بقدر الله تعالى، فلا يكون فيه إلّا ما أراده الله وقضاه وقدره، وتلك هي مركزية العقيدة الإسلاميّة التي تميزها عن غيرها، فإنّ الفعل كله بيد الله تعالى، ولا ينفي هذا مسؤولية الإنسان عن عمله وكسبه، وعلى ذلك يكون الثواب والعقاب، وقد خلق الله له مشيئة وقدرة تقع بها أفعاله، ولا يكلفه إلا ما يطيقه، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[٥٥] فلا مشقة تذهب عن النفس استقرارها، وتصرفها عن الإقبال على الله تعالى، لتحفظ جوهرها ومعدنها الأصيل من التغيير والتبديل.

---

(٥٣) سورة يوسف: ١٠٨.

(٥٤) سورة لقمان: ٢٠.

(٥٥) سورة البقرة: ٢٨٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

المبحث الخامس: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز الثبات:

من المعلوم أنّه لا بد لكل أمّة ما يُبقيها على ذاتيتها ويحفظ أصالتها، ومقاومتها للنفوذ الساعي لهدم كيانها، ولا بدَّ له أنْ يتصف بالثبات حتى يرجع الناسُ إليه، ويطمئنُّوا له، وليس كعقيدة التوحيد من شبيهٍ في ذلك، وهي العقيدة الرّبانية الخالصة الثابتة، والمقصود بثباتِ العقيدة أنّها هي ذاتها التي أنزلها الله تعالى على رسوله ﷺ، لم ولن يتطرق إليها التبديل ولا التحريف، ولا التلفيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص، حيث بقيتْ النصوص ثابتةً إلى يوم الدين لا ينسخُها ناسخٌ ولا يبدِّلُها كافرٌ، وقد تفردت بذلك على كل العقائد والمذاهب والفلسفات، والأصل في ذلك أنّها توقيفية وربانية في مصدرها ومقصدها، ليس للمؤسسات والهيئات والبرلمانات والفلاسفة والرهبان يدٌ فيها.

وإنّ ثبات العقيدة الإسلامية لا ينفي إمكانية قبولها للتطور، والمقصود بالتطور نفي تعارض اعتقاد التوحيد مع المتغيرات الحياتية المادية، في الوسائل والأساليب المشروعة، ولا يعني بالطبع الخروج عن التوحيد إلى الشرك والنفاق أو إدخال عقائد جديدة، أو إخراج ثوابتها العقدية، كما في الأديان والعقائد والفلسفات، فالإنسان يتحرك ويتطورُ وينمو، ولكن داخل إطار العقيدة الثابتِ الذي يتسع لحركة الإنسان ونموّه، في منظومة توحيدية فريدة، دون إخلال، لأنها ربانية توقيفية مصدرها العليم الخبير، ودون أن تعيق تعامل المسلم مع الأشياء حوله، مقاومة للتحريف والتبديل والانصهار والاندماج، متفاعلة مع تطور الحياة المادية، وتعقيداتها المتجددة والمتزايدة، دون تعارض مع قيمها القائمة على التوحيد الخالص لله تعالى، وإذا خرجَ الإنسان من الإطار الثابتِ – التوحيد الخالص – سقط في حالة من الازدواجيّة الفكريّة والتذبذب بين المنهج والمعتقد، بين النظرية والتطبيق، فتُطمس هُوِيته الإسلامية؛ تمهيدًا لعمليّة تذبذب وشتات فكريّ شامل، هو أخطر أشكال الضياع؛ لأنّه تغيير للمفاهيم الثابتة وتيه للذاتية المسلمة وربما اندماج في غيرها، فيفسد معتقد وفكر المسلم، وتضيع معيارية ومرجعية الثبات عنده.

وإنْ كان ثمة مفهوم خاص للتطور وفق رؤية العقيدة الإسلاميّة، فربما يمكن صياغته في الآتي: إنّ تطبيق مسائل العقيدة يعني بلوغ المؤمن أعلى مراتب التوحيد، فكلما أخلص العبودية لله تعالى وسعى لنيل رضوانه كان أكثر تطوراً، وكلما بُعدَ عن توحيد الله تعالى بَعُد عن التطور واقترب من التخلف عن نيل مرضاة الله تعالى وعن الكمال البشري. فليس تطوراً أنْ يتمرد العبدُ على ربه، أو ينكر وجوده وهيمنته على الكون كله، فقياس التطور التوحيدي رهين بدرجة القرب من الله تعالى والبعد عنه سبحانه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

ويبدو الجمود الفكري والتعصب في المذهب الإلحادي أكيداً، رغم إنكار ذلك، فإنّ من صفات الإلحاد غير المعتدلة والتي يُتهم بها المؤمنون الجمود والتعصب الفكري للإلحاد: "إن الإلحاد في الحقيقة أعظم العقائد الإيمانية دوغمائيّةً [٥٦]؛ لأنّه يقوم على حكم سلبي كوني، فإن الدوغمائيات الأخرى تقوم غالباً على الإيمان بوجود شيء، وأما الإلحاد فيقوم على نفي شيء بصورة كليّة في هذا الوجود، والنفي الكليُّ لأمرٍ ما في هذا الوجود دون برهانٍ دوغمائيّة متطرفة" [٥٧]

فبالتوحيد الخالص يبقى الدفع الحقيقي المقاوم لتسلط الآخر، ولتذويب الذاتية المسلمة، فليس هناك منهج حياة يحقق استقلالية المسلم وهو يحمل عقيدة أصولها متغيرة ومتبدلة، متحولة بتحول الزمان والمكان والأشخاص، فإنّ أصول الإيمان بالله لم ولن تتبدل لا بالزيادة ولا بالنقصان، تلقاها الصحابة ثم التابعون وتابعوهم وأئمة الهدى المتمسكون بهدي النبي ﷺ وهذا مما تكفل به الله تعالى.

وعن إنكار الله تعالى يؤكدُ أهل الغرب رفضهم لأهل الإلحاد، لأنهم في أقل تقدير يجعلون لشيء قيمة، يقول جون لوك [٥٨] (John Locke): "لا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوعد والعهد والقسم، من حيث هي روابط المجتمع البشري، ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفك جميع الأشياء" [٥٩]

أَسّسَ النصارى عقيدة التثليث عبر المجامع النصرانية، ففي مجمع نيقية "٣٢٥م" تقررت أُلوهيّة المسيح، وبعد ستٍ

---

(٥٦) هي مذهب من يثق بالعقل وبقدرته المطلقة على إدراك الحقيقة والوصول إلى اليقين، وهي صفة من يثق بعقله ونظرياته ويعترف لها بسلطان عظيم دون التفكير في احتمال اشتمالها على الخطأ والضلال انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، ص:١٩١

(٥٧) برهان وجود الله في النفس والعقل والعلم، د. سامي عامري، ط١،١٤٤٠هـ-٢٠١٨م، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية الخبر، ص: ١٢٣.

(٥٨) جون لوك (John Locke) ١٦٣٢م – ١٧٠٤م، هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي، ولد في عام ١٦٣٢م في رينگتون (Wrington) من كتاباته: الحكومة المدنية، مبحث في الفهم الإنساني، رسالة في التسامح، انظر: جون لوك، مقدمة قصيرة جداً، جون دَن، ترجمة فائقة جرجس، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، مؤسسة هنداوي.

(٥٩) رسالة في التسامح ،جون لوك ترجمة منى أبو سنه تقديم ومراجعة مراد وهبة، المجلس الأعلى للثقافة مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ص ٥٧.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

وخمسين عاماً "٣٨١م" قرر مجمع القسطنطينية أُلوهيّة الروح القدس، وبذلك استقرت عقيدة النصارى على التثليث القائلة بأُلوهيّة "الآب والابن والروح القدس" ثم تواصلت مجهودات المجامع النصرانية في القول بطبيعة المسيح(٦٠)، وهذا من شأنه الذهاب بقدسية العقيدة في نفوس معتنقيها، وأن تنشأ أجيال لم تَعُد لها صلةٌ بماضيها وتراثها وثقافتها، ولن يكون لها ولاءٌ ولا انتماءٌ لعقيدتها، التي تتبدل وتتحول بآراء البشر، فتقع هذه الأجيال في التمزيق النفسي والروحي وضياع الهدف والغاية والمصير.

إنّ من أنواع الثبات في عقيدة التوحيد؛ الثبات في وجه الابتلاءات والمصائب احتساباً للأجر وطلباً لمرضاة الله تعالى، لا كما في أفكار الهدم ومنها الأفكار الإلحادية التي لا تعرف صبراً ولا احتساباً عند حصول البلاء؛ حتى أصبح الانتحار قرين الإلحاد ودولِه، ففي دراسة تعلقت بتأثير التعاليم الدينية على الانتحار، أكّد الباحث نسب اختلاف بين الدول الإسلامية وبين أي دولة أخرى من دول العالم بشكل لافت للانتباه! قام بهذه الدراسة الدكتور جوس مانويل والباحثة أليساندرا فليشمان، وهي دراسة علمية شاملة استندوا فيها إلى مراجع الأمم المتحدة الموثقة، والصورة هنا لزيادة التوثيق العلمي، لأن الملحدين كلّما جاءهم إعجاز علمي جديد قالوا بأن هذه النتائج ملفقة وغير صحيحة! ولذلك أنصح كل من في قلبه شك من هذا البحث أن يرجع إلى هذه الدراسة، حيث انتحار المشاهير. (٦١)

---

(٦٠) ينظر: عقيدة التثليث، جذورها وتطويرها عرض ونقد، فوزية بنت مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحتيرشي، ١٤٢٣هـ، ص:١٠٦

(٦١) نقلاً عن صحيف نيو يورك تايمز، تاريخ المقال: يناير/٨/ ٢٠١٨م، للكاتب: ميتش اسميث

- https://www.nytimes.com/٢٠١٨/٠٦/٠٩/us/suicide-rates-increasing-bourdain.html

تاريخ الزيارة:٥/ ٥/ ١٤٤٢هـ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

مُرتكزاتُ العَقيدةِ الإسلاميّة لِلحِفاظِ على الهُوِيّة الإسلاميّة.

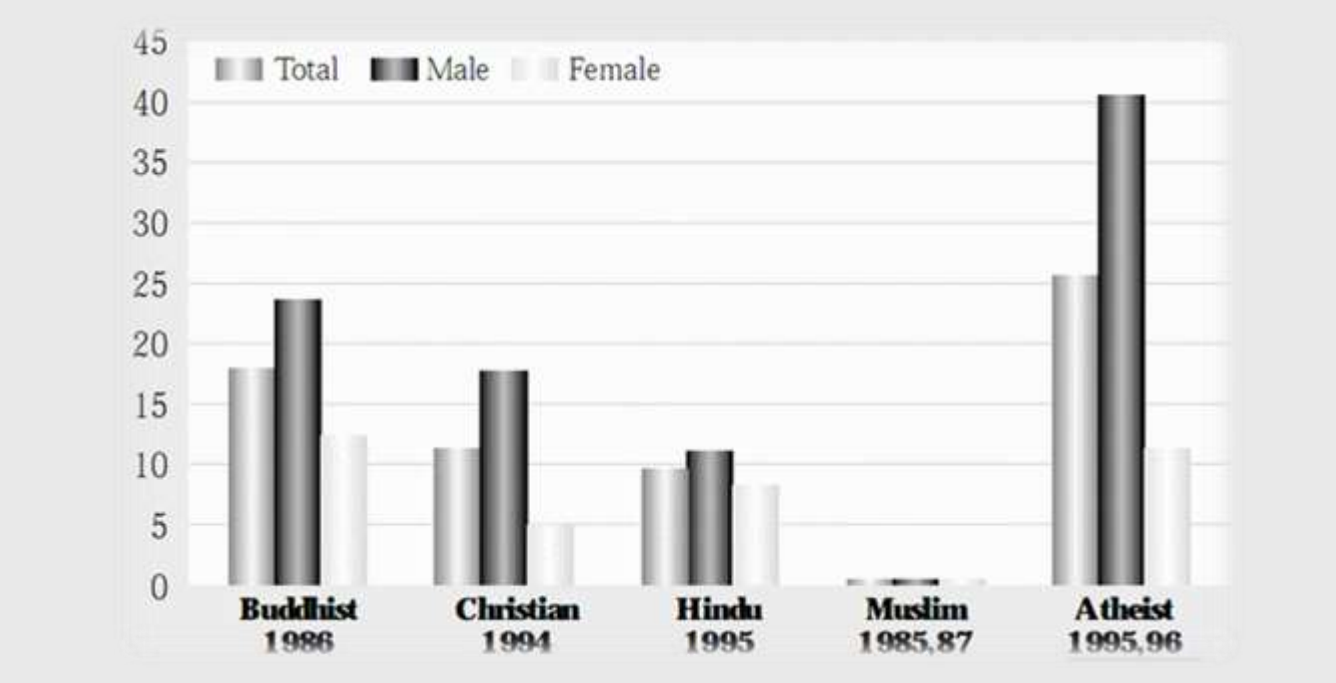

تؤكد هذه الدراسة العلمية أن أعلى نسبة للانتحار كانت بين الملحدين، ثم البوذيين ثم المسيحيين ثم الهندوس وأخيراً المسلمين الذين كانت نسبة الانتحار بينهم تقترب من الصفر، وعند النظر إلى العمود الذي يمثل نسبة الانتحار لدى الملحدين تجده الأعلى نسبةً، وتأملوا معي العمود الذي يمثل نسبة الانتحار بين المسلمين وهو أقل نسبة على الإطلاق، هل توحي لك هذه الحقيقة العلمية بشيء!!

فهذا شأن من فارق الصراط المستقيم، وسلك طريق الأديان التي امتلأت بصور التحريف والتغيير والبُعد عن المنبع الصافي، فكانت هذه النتائج، فضلاً عن المذاهب الفكرية الهدامة والفرق والفلسفات القائمة على التشريع والسيطرة البشرية الكاملة، وحال أهلها، إنّ حياتهم من حيث المبادئ الأخلاقية تتهاوى يوماً بعد يوم، فالسيادة للمصالح والمنفعة واللذة وتعظيم الإنتاج والاستهلاك، فليس لها ثبات يُبقي معتنقيها على هُويّة.(٦٢)

(٦٢) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية–جدة، الأولى ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م. موسوعة العقيدة والأديان والفرق المعاصرة، مجموعة من الأكاديميين والباحثين والمختصين في جامعات العالم، ط١، دار التوحيد للنشر، ١٤٣٩هـ–٢٠١٨م.سقوط العلمانية أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

المبحث السادس: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز موافقتها للفطرة السليمة:

موافقة العقيدة الإسلامية للفطرة السليمة، تعني أنّ الإنسان ذا الفطرة السليمة يتجرد من الهوى والتعصب والاستكبار والعناد، وتعني كذلك غياب التنافر والتناقض بين متطلبات العقيدة الإسلاميّة كالاتباع والاستسلام لله تعالى، وبين خضوع الفطرة لذلك، لأن بينهما اتساق ووحدة تامة، تُشكِّل كيان المسلم لمقاومة الفسوق والعصيان والتمزق والانحراف الفكري، والتبعية للآخر والانسياق خلفه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في سبق الفطرة السليمة للرسالات وأنّ دور الرسل عليهم السلام في التذكير بالاعتماد عليها: "الرسل إنّما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها، وتقويته وإمداده، ونفي المغير للفطرة، فالرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة"(٦٣)

وتتجلى حالة التطابق لسماحة هذه العقيدة ومخاطبتها لكل جوانب النفس البشرية، بما يلبي حاجات الجسد والروح، ويخاطب العقل والعاطفة، لا يطغى جانب على جانب، تنزيل من حكيم حميد، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. أما صورتها وقد خرجت عن السلامة والاتساق فهو الاضطراب والقلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية، والجريمة والانتحار والجنون، وهذا يؤكد أن شقاء الإنسان سيكون شقاءً بالغاً، ففي مخالفتها مخالفة للاعتقاد السليم، كما أن هذا الانحراف عن الفطرة لا بديل له لسعادة الإنسان، ولا يطمس حقيقة الفطرة الأصيلة، ولا يلغيها.

ومما جاء عن النبي ﷺ في بيان التكليف بما فيه الطاقة، وما من شأنه الإقبال وعدم التذمر والنفور، وبما فيه من التوسط والاعتدال في أمور ففي الحديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ" (٦٤).وقوله ﷺ: إن الدين يُسر، يعني في حدود استطاعة البشر وليس في تكاليفه ما يشق عليهم، يسر لا يشق عليها فتسلم لله تعالى وتنقاد في تلقائية.

فهي عقيدة التوازن الفطري، الذي يصحح مسارها نحو الله تعالى، ويصنع إيمانها العميق فيدفع عنها الشبهات، ويحفظها على قيم العبودية، بعيداً عن التطرف والميل والزيغ والهلاك، فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ـ رضى الله عنه، قال جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ

---

(٦٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٨/١٦) مرجع سابق.

(٦٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، حديث رقم: ٣٩

إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: " أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " (٦٥).

فهذا طريق الفطرة السديد القائم بحق الجسد، والسمو بالروح بأنواع العبادة، كما أنّ عقيدة الفطرة تَهدِي وتَحْكُم كل الأمور التي تتنازعها النفوس من الشبهات والشهوات، وهي في يقين وسلاسة تُميّز بين الحق والباطل فتطمئن للأول وتفزع من الثاني، فعن النواس بن سمعان ﷺ، عن النبي ﷺ قال : "البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ " (٦٦). فتترك النفس ما يُريبها إلى ما لا يريبها.

فهي عقيدة ليست غريبة عن الفطرة ولا مناقضة لها، بل هي منطبقة عليها انطباقاً تاماً وأكيداً، وهذا هو صريح القرآن: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٦٧) فدل على أن الإسلام هو فطرة الله، فلا يحتاج إلى تأثير من الأبوين. أما الأديان الأخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية فهي من تلقين الآباء والأمهات.

وهي عقيدة تشبعُ جوع الفطرةِ للعبادةِ ولا يسدُّه إلا منهاجُ الله تعالى، ولا تملأُه النظمُ الفلسفيةُ، ولا الجاه السياسيُّ، ولا الثراءُ الماليُّ، والحق أنّ ما بين الفطرة السليمة والعقيدة الإسلاميّة توافق تام، وأصل ذلك أن الفطرة السليمة جِبلةٌ ربانية وخليقة إلهية، والتوحيد عقيدة ربانية ومنهج رباني إلهي لتسير الحياة عليه في استقامة وأفضل كمال وفلاح في الدنيا وفي الآخرة، بل إنّ التوحيد هو أعظم مظاهر الفطرة السليمة وتجلياتها، فلا تعارض أو تضاد بين خليقة الله تعالى وصناعته وبين منهجه سبحانه وتعالى.

فالإنسان بفطرته منذ ولادته يتجه إلى التوحيد الخالص وإلى عبادة الله تعالى وحده، وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ:

---

(٦٥) صحيح البخاري، باب الترغيب في النكاح، رقم: ٤٧٩٣.
(٦٦) صحيح مسلم ،كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ بَابُ تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ حديث رقم: ٤٧٦٠.
(٦٧) سورة الروم:٣٠

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَإِذَا أَعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، إِمَّا شَاكِرًا ، وَإِمَّا كَفُورًا" (٦٨)

وفي سعيها إلى عبادة الله تعالى وحده، تُخْلِصُ باحثة صادقة مدققة ومدركة لصواب الاعتقاد بالتوجه إلى من فطر السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٦٩).

إنّ من أكثر التساؤلات المحيّرة لأهل الإلحاد وقد أجابته عنه عقيدة التوحيد سؤال ما غاية ومعنى الحياة؟ فلا ينفك في كل لحظة من عمره يبحث عن إجابة السؤال في ظل حياة الإلحاد، تلك العقيدة التي لم تتوافق والعقل والفطرة والحدس، يقول نيكولاس غوميز دافيلا "ت ١٩٩٤م" ، في ظل شوق النفوس لاعتقاد راسخ يحمل غاية ومعنى: "الإنسان الحديث لا يحبّ، بل ينشد ملاذًا في الحبّ؛ هو لا يأمل، بل يطلب ملجأً في الأمل؛ ولا يؤمن، بل يبحث عن مأوى في عقيدة" (٧٠)

فعقيدة الفطرة تقوم على الاتباع والاقتداء والاهتداء بهدي الله تعالى وهدي رسوله ﷺ وما عليه سلف الأمة، مصدراً للاعتقاد، صبغه الله بالتوحيد الخالص ، أما المعتقدات الأخرى فما هي إلا أوهام وتخرصات، تُعْمِي الفطرة، وتُحيّر العقول، ذلك لأن العقيدة الإسلامية على وفاق تام وانسجام كامل معها.

---

(٦٨) مسند أحمد ابن حنبل، مُسْنَدُ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديث رقم ١٤٥٧٩ صحيح البخاري، رقم: ١٣٣٠.

(٦٩) سورة الانعام: ٧٤- ٧٩.

(٧٠) نقلاً عن مقال عبدالله بن عبدالرحمن الوهيبي، بموقع أثارة، تاريخ الزيارة:٥/ ٥/ ١٤٤٢هـ: "https://atharah.com/ Nicolás Gómez Davila, An Anthology Compiled by Andis Kaulins, P ١٠١ (٤٠٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

إنّ خالق الإنسان عليم بحاله، و هو الذي شرع له من الدين ما يناسب فطرته التي خلقه عليها، كما قال تعالى: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾** ﴾[٧١] والواقع شاهد على موافقة الفطرة للعقيدة الإسلامية القائمة على الإخلاص لله وحده، فما إنْ يصاب الإنسان بِضُر تعجز أمامه القوى المادية إلا ويلجأ إلى الله تعالى في تذلل وخضوع، يستوي في ذلك الكافر والمؤمن ، بل حتى الطفل الصغير، فإنه لو ترك على حاله دون أن يؤثر عليه والداه أو البيئة من حوله لنشأ معتقداً بالله تعالى رباً وإلهاً لا يعبد سواه، فيلجأ بقلبه خاشعاً إلى السماء سائلاً رب السماء أن ينجيه منها يقول الله تعالى: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾** ﴾[٧٢] ومهما غطت العوارض هذه الفطرة فلا بد أن تبرز عند الشدائد، فتُؤكد حاجتها إلى تفويض الأمر كله لقادر على كل شيء، يقول الله تعالى: ﴿ **وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾** ﴾[٧٣] عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مَاتَ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ: مِنَ اللَّيْلِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ : يَا فُلَانُ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ بِمِثْلِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ، أَصَبْتَ خَيْرًا، حَدَّثَنَا" [٧٤] فالموت من أبرز مواقف تجلي الفطرة على حقيقتها.

فعقيدة الفطرة تهب صاحبها الرضا النفسي، واطمئنان البال، وراحة الفكر، فالنفوس البشرية في اضطراب دائم، تزعجها شدة البلاء، وتبطرها النعمة والرخاء، وليس مثل الإيمان بالله مطمئناً للنفوس، كما أنها تؤدي إلى التحرر من التخبط

(٧١) سورة الملك: ١٤.

(٧٢) سورة النمل: ٦٢.

(٧٣) سورة يونس: ٩٠.

(٧٤) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ حديث رقم:٥٠١٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الفكري، والفوضى العقائدية، والعبودية للمادة، وإخراج الفرد من ظلمات الشرك والجهل والخرافة إلى نور العلم، الذي يكشف الحقائق، ويبصر بالصواب، وتتوجه بالأعمال إلى الدار الآخرة، بعكس الكفار الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، لذا فإن تصوراتهم وأعمالهم وإرادتهم محكومة بإطار الحياة الدنيا، أمّا المؤمن فإنه يحقق أمر الله ونهيه، ويعلم بعظمة الله وقوته، وسلطانه وجبروته من خلال التعرف على صفاته ومعرفة مخلوقاته العظيمة.

تُرشِد عقيدة الفطرة السليمة المؤمن بالله تعالى إلى مقاومة استعباد الآخر، بتصحيح المفاهيم وتوجيه المسار لله تعالى بعيداً عن الوقوع في براثن الشرك والطغاة بسؤال الله وحده، واللجوء إليه سبحانه بالدعاء والسؤال وكشف السوء ودفع الضر وجلب المنافع، والاستعانة به في الأمور كلها، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك، عنْ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي: "يَا غُلامُ، إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، فَقَدْ رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الْكُتُبُ، فَلَوْ جَاءَتِ الْأُمَّةُ يَنْفَعُونَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، لَمَا اسْتَطَاعَتْ، وَلَو أَرَادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللَّهُ لَكَ، مَا اسْتَطَاعَتْ" (٧٥) فلم يبق للشرك بقية بعد ذلك في قلب المؤمن، وعندها لا يقع في التبعية وهدم ذاتيته والانزلاق بعيداً عن خصائصه الربانيّة.

ويبقى المسلم في ثباته أمام صور الاستلاب والانحراف العبادي، فيأتيه النبأ مرة ثانية وثالثة... متسائلاً ومحركاً الفطرة الراكدة وقد طال عليها الأمد في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾(٧٦) فهو يخاف الله وحده ولا يخشى غيره لأنه دونه في كل شيء، وبالمقابل فإن الخوف من الله تعالى هو أمن وقوة واحتماء بالقوي، محافظاً في حصنه بجوهره، فغاية ما يخافه في عمره الخروج عن طاعة الله تعالى، فيه يضطرب ويقلق ولكنه يعود سريعاً للأصل الأول، وذلك بالتوبة والاستغفار إلى الله تعالى القائل: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ (٧٧)

وإنّ من حكمة الله تعالى أن جعل التكليف بلا مشقة وفق الوسع ، فإنّ تليف النفوس ما لا تطيق من مفسدات

(٧٥) مسند أحمد ابن حنبل: رقم ٢٦٩٢.
(٧٦) سورة الزمر، الآية ٣٦.
(٧٧) سورة النساء، الآية ١١٠

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الفطرة، يقول الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [٧٨] وقد أوصى الرسول ﷺ المسلم ما يطيق من الأعمال، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ : مَنْ هَذِهِ ؟ قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ : مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَ اللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ"[٧٩] وفي ذلك تظل النفس في رباط دائم، وثبات أمام عواتي المتغيرات، وتطرّف وميل وانحراف التيارات والأديان والفلسفات.

المبحث السابع: الحفاظ على الهُوِيّة الإسلامية عبر مُرتَكز موافقة العقل الصحيح:

المراد بالموافقة أن مسائل العقيدة الإسلامية، والتي مصدرها الوحي المعصوم، يتقبلها العقل الصحيح ولا يجد حرجاً في ذلك، فالإيمان بوجود الله تعالى وتوحيده أمر لا ينكره عقل صريح، بخلاف ما في العقائد من تثليث وتأليه للبشر وحلول للإله في بشر وكثير من صور الشرك، ومن مسائل العقيدة الإسلامية الإيمان بوجود الله تعالى وتوحيده والملائكة والكتب السماوية والرسل والقدر خيره وشره واليوم الآخر وما يتفرع عنها من المسائل العقدية تتوافق والعقل الصحيح، وإن تُوهِم التعارض فهو ظاهري لعجز أو قصور في العقل، أو هوى أو مصلحة، خلافاً للوحي، وليس ذلك إنقاص من شأن العقل! فإنه أصل في التعرف على النقل، إلا أنّ الوحي معصوم رباني كامل، فلا تذبذب ولا اضطراب في تقبل العقل الصحيح للعقيدة الإسلامية، فإن العقيدة والتي هي وحي من الله تعالى يستحيل أن تتعارض مع العقل الذي هو صنعة الله، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى:" العقل الصريح لا يُعارض النقل الصحيح" [٨٠] ولكنه يشهد له ويؤيده لأنّ المصدر واحد فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل، ومن المحال أنْ يُرسل إليه ما يُفسده، وإذا حدث تعارض بين العقل والنقل فذلك لسببين، لا ثالث لهما، إما أن النقل لم يثبت وإما أن العقل لم يفهم النقل.

---

(٧٨) سورة البقرة: الآية ٢٨٦

(٧٩) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب: أحب الدين إلى الله عز وجل أدومه حديث رقم: ٤٣.

(٨٠) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٦٦٥/٧) مرجع سابق.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

ليس كما فعلت الفلسفات والمذاهب الفكرية الإلحادية وغيرها، فقد أقرت العقيدة بقدرة العقل في مجالات له القدرة على إدراكها، وأقرت أنّ له حدوداً لا يتجاوزها وقدراً لا يتخطَّاه، وهي المحسوسات، فلا يدرك الغيب، وإلّا تساوت عقول البشر مع الله في العلم بعلم الغيب، وعندها يتشارك الإنسان مع ما هو من خصائص الله تعالى فوقع في الشرك والهلاك مثل كثير من الأمم والمذاهب والفلسفات في زماننا.

كما أنّ العقيدة الإسلامية حررت العقل من قبول غيب إلّا من عالِم الغيب والشهادة سبحانه، فليس للمنجمين والسحرة والكهان، كما في الديانات الأخرى مكان ولا سلطة، فمن القصور العقلي حصر المعتقدات في المحسوسات فقط، فحصر الاعتقاد في المادة والحس والتجريب فقط كما في المادية، أو إنكار الغيب كما في الإلحاد، أو تأليه الإنسان كما في الوجودية، أو الاعتقاد بما فيه المنفعة الآنية المحسوسة والمتحصلة كما في البراغماتية، أو الواقعية دون المثالية أو العكس، فإنّ ذلك يُخِل بحياة الإنسان بترك أمر الغيب بدلاً من إيكاله لله تعالى، فبالعقل نؤمن بأمور غيبية كثيرة فهل يسلم عقل يؤمن بذلك وينكره من الفوضى والتيه والهلاك فإن ذلك انفصام في الشخصية، وطمس للهُويّة، فإنّ ما يحفظ للمسلم كيانه وذاتيته، أنّ العقل الصريح كلما أمعن في بحثه عن الحق والحقيقة، كان موافقاً للعقيدة التي جاءت بالهداية للإنسان، حتى تتبين له صحة المسائل العقدية.

وعليه فإنَّ من مسلمات المؤمن أن الرُّسل جاءت بما تعجز عنه العقول، وأنّ العقيدة جاءت بما للعقل به قبولٌ تامٌ فلا يصيبه بالحيرة والتيه والجهالة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "وكل واحد من وحدانية الربوبيّة والإلهيّة وإنْ كان معلوماً بالفطرة الضرورية البديهية وبالشرعية النبوية الإلهية فهو أيضاً معلوم بالأمثال المضروبة التي هي المقاييس العقلية "(٨١)

ومهما يكن فإنّ العقيدة جاءت من عند الله تعالى العليم بالإنسان وعقله، فما خالف فيه ما جاء من عند الله فقد وقع في الباطل: "وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس أو يفهمون منها فهماً باطلاً فالآفة منهم

(٨١) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٣٧/٢)

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

لا من الكتاب والسنة " [٨٢]

ومن آفات العقول عقل الإلحاد والذي لا مرجعية سواه لبناء الفكر الإلحادي، فإنّه عقل نفعي وعدائي: "مشكلة العقل الغربي في أصله أنه عقل أداتي نفعي مصلحي مادي، يحمل بغضاً غير مبرر للدليل النقلي الجاهز، فتراه يُسلِّم بالخرافة – UFOالأطباق الطائرة– لأنها من صنعته ، ويتردد في المعرفة النقلية وإن كانت أكثر منطقية وضبطا من هذيانه" [٨٣] فهل يقود مثل هذا العقل إلى هداية وثبات ذات وهُوّية.

فالعقل البشري له قدرة محددة ليس الغيب من مجالاتها وهو: " يحيط بالإنسان من كل ناحيةٍ وجانب، فنحن نعيش وسط غابة كثيفة من الغيوب، وكل شيء تمتد إليه أيدينا أو تدركه أبصارنا أو نصل إليه بفكرنا فيه غيب يقل أو يكثر، ولذا يبدو العقل الإنساني محدوداً جداً أمام غيوب الوجود" [٨٤]

(٨٢) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الجزء: (٢/٤٩٠)

(٨٣)كهنة الإلحاد الجديد د. هيثم طلعت علي سرور تقديم د. عبد الله بن سعيد الشهري، ص:١٠

(٨٤) الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية، إلياس بلكا ،تنوير للنشر والاعلان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص: ١٤٥.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

النتائج:

قدرة وأهليّة العقيدة الإسلامية على الحفاظ على هُويّة المسلم الأصيلة، لما تميزت به من الخصائص المتفردة عن العقائد والأديان والمذاهب الفكرية.

ربانيّة العقيدة الإسلامية قاعدة راسخة في بقاء المؤمن على هُويّته الإسلامية، في وجه أعاصير المذاهب الإلحادية والكفرية التي تفتقر لمصدر معتبر.

تميّز العقيدة الإسلامية بخاصية التوحيد دون غيرها من الأفكار والمعتقدات أهلها لحفظ هُويّة المسلم، من اضطراب وقلق الشرك، وفقد الغاية والهدف والمصير.

شمول العقيدة الإسلامية لمسائل الغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، والمادة والروح، وغيرها؛ أتم للمؤمن التصور المتكامل للكون والحياة والإنسان، حتى غدا في حفظ لكينونته وخصوصيته الإسلاميّة.

وصف العقيدة الإسلامية بالوضوح يصرف عن المؤمن الحيرة والقلق النفسي، حتى يكون عصيّاً عن الذوبان والانغماس في عقائد وتيارات أخرى.

الثبات أصل العقيدة الإسلامية، فليس للأيدي والمجالس الشورية والعقول البشرية تخل في قواعدها، وثبات المؤمن فرع عن هذه الخاصية المرتكز، فلا يتهاوى بين الشبهات أو الشهوات، محافظاً على هُويّته الإسلامية.

التعويل على العقل الصريح والفطرة السليمة في ترسيخ مبادئ العقيدة الإسلاميّة طلباً للحفاظ على ذاتية المسلم ويقينه بما يعتقد.

الاعتزاز بهُويّةِ المسلم، وعدم الرُّكون إلى التيارات والمذاهب والفرق والفلسفات والأديان التي يجتهد سدنتها في إضلال وتغييب المسلمين، مع عدم الاستهانة بجهود أتباعها في السعي للنيل من أمتنا ودينها.

وفي مقابل ذلك تأكد عجز العقائد والأديان والمذاهب الفكرية والفلسفية عن إبقاء متبعيها على هُويّة راسخة ومميزة ومقنعة، لما بها من تحريف وفساد واضطراب وغموض وشرك، والأصل في ذلك ما قامت عليه من صور الانحراف والضلال و

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

الشهوات والهوى، وإقصاء الوحي بالجملة من الحياة، خلافاً لما عليه العقيدة الإسلامية من مرتكزات.

التوصيات:

العودة إلى العقيدة الإسلاميّة وفق فهم السلف الصالح منهجاً للتربية وسبيلاً لحفظ كيان الأمة المسلمة، مع التعويل على خصائصها الفريدة مسلكاً للتنشئة.

إلزامية قيام مؤسسات متخصصة تعمل على إجراءِ البحوث والدراسات العلمية الدقيقة لكشف مؤامرات المنظمات التي تسعى إلى محو شخصية المسلم، وكشف وسائلها في ذلك، ومحاولة صدها عن طمس هُويّة المسلمين.

كما أنه من الأهمية مواجهة إنتاج هذه المؤسسات ونقدِه لتحقيق الحصانة اللازمة للحفاظ على كيان الأمة الإسلامية سليماً من التشويه والتغيير.

الافادة الكاملة من وسائل التقنية الحديثة في نشر الوعي الفكري المستند على فهم السلف الصالح للحق والخير؛ لما تمتاز به من يسر في التواصل واتساع في الانتشار وسهولة في التعامل.

يدعو البحث إلى إقناع المسلمين وحثهم على أهمية العودة لله تعالى، واتباع سنة النبي ﷺ وفق فهم السلف الصالح لضمان صلاح الدنيا والآخرة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

فتح الرحمن يوسف عمر أبوعاقلة

The pillars of Islamic faith to preserve The Islamic identity.

Dr. Fathalrhman Yousif Omer Abuagala

Associate Professor of Contemporary Belief and Doctrines, Department of Islamic Studies / College of Education, Majmaah - Majmaah University. Hantoub College of Education, Gezira University, Sudan.

The research is discussing the ability of the Islamic faith to preserve the Islamic identity through its unique characteristics: divine, monotheism, clarity, consistency, inclusiveness and its agreement to instinct and logic. The research aims to emphasize the importance of adopting and promoting self –esteem on the Islamic faith to shape the identity of Muslim, and referring to it in our education. The study used critical descriptive methods. The study found that the Islamic faith is a key in Muslim life and identity, it's his guidance and clue to follow the right track and then pride in Muslim identity. Also it helps Muslim to rely on it and not to follow other party and philosophy who's their god father seeking to miss guide Muslim. The study recommends to initiate research institutes works on studies that helps to prevent organization from dissuading Muslim identity.

Key words: Pillars, Identity, Doctrine, Divine , Monotheism.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

قائمة المراجع والمصادر:

القران الكريم.

صحيح البخاري، الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن اسماعيل البخاري، دار ابن كثير دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ -٢٠٠٢م.

صحيح مسلم، الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار طيبة ١٤٢٦هـ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، العبودية، المحقق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ط: الثانية، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية،١٤١١هـ—١٩٩١م.

ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، دار أضواء السلف، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

ابن مسعود: أبو الفداء، آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، دار الإمام مسلم — القاهرة، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

الأثري: عبد الله بن عبد الحميد، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، مكتبة الغرباء ط١٠.

بطرس: عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، طباعة شركة Compubraill

بلكا: إلياس، الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية، تنوير للنشر والاعلان، ط١٤٣٥،١هـ-٢٠١٤م.

الجرجاني: علي بن مُحَمَّد بن علي الحسين التعريفات ، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، د.ت.

الحاكم: مُحَمَّد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي، المستدرك على الصحيحين، مركز البحوث وتقنية المعلومات - دار التأصيل.

الحتيرشي: فوزية بنت مُحَمَّد بن مُحَمَّد، عقيدة التثليث جذورها وتطويرها عرض ونقد، رسالة ماجستير، كلية الدعوة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٦)، ص ص ٤٠١٥ – ٤٠٥٥ (رمضان ١٤٤٢هـ / مايو ٢٠٢١م)

وأصول الدين جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.

شلبي: أحمد، اليهودية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ط:٨، ١٩٨٨م.

صليبيا: جميل، المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان،١٩٨٢م.

عامري: سامي، برهان وجود الله في النفس والعقل والعلم، تكوين للدراسات والأبحاث، المملكة العربية السعودية، الخبر، ط١٤٤٠،١هـ-٢٠١٨م.

علي: هيثم طلعت كهنة الإلحاد الجديد سرور تقديم د. عبد الله بن سعيد الشهري.

لوك: جون، رسالة في التسامح، ترجمة منى أبو سنه تقديم ومراجعة مراد وهبة المجلس الأعلى للثقافة مصر، ط١، ١٩٩٧م.

المسيري: عبد الوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر دمشق، دار الفكر بيروت، ٢٠٠٢م، د.ت.

موسوعة العقيدة والأديان والفرق المعاصرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ، دار التوحيد للنشر، المملكة العربية السعودية الرياض.